محمد عطية الابراشي

المكتبة الحديثة للأطفال



الفيلسوف الزاهد

وقصص أخرى

دار المعارف بمصر

١

الفَيلسُوف الزّاهِد

وقصص أخرى

بقلم
محمد عطية الأبراشي
خريج جامعتي إكستر ولندن
والمراقب العام بوزارة المعارف

الطبعة الأولى

ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسلين ، سيدِنا محمد وعلى آلِهِ وصحبِه أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرُّنى أن أقدمَ للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهى صفوةٌ من القصصِ الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورَغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم .

وحِرْصاً منِّى على أن أضعَ أمامَهم المثَلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة ، فى صورةٍ مُلائمةٍ للطفولةِ ومَداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الجهدِ فى اختيارِها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصىَّ فلا أتخيرُ منه — مع كثرةِ قصصِه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا فى هذه المجموعةِ ألواناً من القِصَصِ الخياليةِ والواقعيةِ ، والاجتماعيةِ ، والخلقيةِ ، والعلميةِ ، والأدبيَّةِ .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفلِ كلَّ الاتصالِ ؛ ففيها يجدُ ما يرَغّبه فى القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرارِ فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصةٍ حتى يَستهويَه وضوحُها ، وسهولةُ لغتِها ، وجمالُ أسلوبِها ، وحرصُها على المُثُلِ العليا فى النواحِى الخلقية والاجتماعيةِ

والعاطفية : فيمضى إلى نهايتها ، ومن هذه إلى تلك حتى ينتهى منها مشتاقاً إلى مُعاوَدَةِ قراءتِها .

وَقَدْ راعيتُ سهولةَ اللغةِ ، وجمالَ الأسلوبِ ، وشرحتُ من الكلمات اللغوية ما صَعُب ، وَوضَّحتُ بعضَ القصصِ بصورٍ واضِحَةٍ ؛ لتكون عوناً على فهمِ هذه القصصِ ، وليكتسِبَ منها الطفلُ دقةَ الملاحظةِ ، وجمالَ الذوقِ .

وأعتقدُ أن الآباء والأمهاتِ ، والمدرسين والمدرساتِ ، سيجدون فى هذه المجموعةِ المنتقاةِ خيرَ ما يُهدُون إلى أبنائِهم وبناتِهم من ثروةٍ تُغذى عقلَ الطفلِ ، وتنمِّى خيالَه ، وتسمُو بروحِه ، وتهذبُ وجدانه ، وتربِّى حواسَّه ، ويجد فى قراءتِها لَذةً وسروراً يشعُر بهما الكبارُ أنفسُهم حينَ يقرءونَها .

وأرجو أن أكون بهذهِ « المكتبةِ » قد قمتُ بواجبِى نحوَ الجيل الجديدِ فى مصرَ والشرقِ العربىِّ .

أسأل اللهَ التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمالِ ، إنه سميعٌ مُجيب

القاهرة { محرم سنة ١٣٧٠ هـ
أكتوبر سنة ١٩٥٠ م }

محمد عطية الابراشى

القِصَّةُ الأُولَى

الفَيلسوفُ الزاهدُ(١)

(من الأدبِ اليُونانيِّ القديم)

فى مدينةٍ من مدنِ(٢) اليونانِ القديمةِ كان يعيشُ رجلٌ حكيمٌ عُرِفَ بينَ النَّاسِ بالرِّضا والقَناعَةِ ، والزُّهدِ فى الحياةِ ، وعَدَمِ الاكتراثِ لزُخْرُفِ الدنيا ، وَزِينتِهَا . وكان يَرى أن الإنسانَ ينبغى ألَّا يملكَ فى هذه الدنيا شيئًا أكثرَ مما يَسُدُّ به حاجتَه الضرورية للحياةِ ، من طعامٍ وشَرابٍ ، ومَلبَسٍ ومَسْكنٍ . كان ذلك الحكيمُ الزاهدُ يقضى يومَه فى الشمسِ بين الحقولِ ، ينطِقُ بالحكمةِ ، ويُعَلِّمُ كلَّ مَنْ يُحيطُ به من تلاميذِهِ الذين يَحضُرون إليه لِتَلَقِّى العِلم والحكمةِ عنه ، وأَبَى أن يتخذَ مَسكنه بين

---

(١) هوديوجينيس الحكيم . (٢) مدينة كورنث .

القصورِ الشامخةِ ، والدُّورِ العاليةِ ، بَلْ كان يأوى إلى كوخٍ صغيرٍ أعدَّه لنفسِه فى الخَلاءِ ، وينتقِل من جهةٍ إلى أخرى ، ومن مكانٍ إلى آخرَ .



(ديوجينيس) العالم اليونانى ، والفيلسوف الزاهد

وقد ذاعَ أَمْرُ هذا الحكيم الزاهدِ بين الناسِ فأَقبلوا عليه من كل صَوْبٍ (١) وناحيةٍ ، يَتَلَقَّوْنَ عنه العلمَ

(١) جهة .

ويستمعون لعظاتِه وآرائه ، وحِكَمِه البليغةِ ، ولم يكنْ يفكِّرُ فى شىءٍ سِوى الإرشادِ والنُّصحِ لمن يُصغِى إليه ويُقبِلُ عليه منَ الطَّلَبَة .

وذاتَ يوم رُئِىَ الفَيلسوفُ الزاهدُ مَاشياً فى الظَّهيرةِ ، مُتَنقِّلاً مِنْ شارعٍ إلى شارعٍ ، ومن مَكانٍ إلى آخرَ ، وقد حَمَلَ بيدِه مِصباحاً مُضاءً ، وأخذَ ينظُر حولَه هُنا وهُناك ، كأنه يَبحَثُ عن شىءٍ فُقِدَ منه . فعَجِبَ المارُّون مِنْ أمْرِهِ ، وسَأَلَه أحدُهم : لماذا تحمِلُ يا سيدى الفَيلسوف هَذَا المصباحَ المُضىءَ ، والشَّمسُ مُشرِقةٌ تملأُ الدنيا ضياءً ونُوراً ؟ فأجاب الحكيمُ الزاهدُ : إنى أبحثُ عن رجلٍ أمينٍ مخلصٍ ، وإلى الآنَ لَم أَجِدْه .

وعند ما ذهب الإسكندرُ المقدونِىُّ إلى تلك المدينةِ التى كان يسكُنُها ذلك الحكيمُ الزاهدُ خرجَ جميعُ الناسِ يستقبلونه ، ويحتفِلون به فرِحين مسرورِين ، ولم يتخلَّفْ من سكانِ تلك المدينةِ أحدٌ سِوَى ذلك الحكيمِ الزاهِد .

وكان الإسكندرُ قد سمِع عنه، وعن حِكمَتِه وفلسفتِه، وآرائه وزُهْدِه الشيءَ الكثيرَ، فرغِبَ فى مقابلتِه والتحدُّث معه، فلما لم يجِدْه الإسكندرُ بين المستقبلين له سأل عنه، وذهب إليه بنفسِه، وحولَه حاشيتُه وجندُه، فوجدَه نائمًا فى الخلاءِ بجانبِ كوخِه، يتمتَّعُ بالطبيعةِ وجمالِها، والشمسِ المشرقةِ وأشِعَّتِها.

دَنا الإسكندرُ من ذلك الفيلسوفِ الزاهدِ، فحيَّاهُ وقال له: أيها الحكيمُ! لقد سمِعتُ كثيراً عن حكمتِك، ووَدِدْتُ مشاهدَتَك؛ لِأُقَدِّمُ لك كلَّ ما تريدُ، فهل هناك شيءٌ أستطيعُ القِيامَ به نحوَك؟

فأجابه الحكيمُ: نعم، يمكِنُك أن تقِفَ إلى جانبى؛ حتى لا تحْجُبَ ضوءَ الشمسِ عن جسمى!!

فعجِبَ الإسكندرُ مِنْ زُهْدِ هذا العالِمِ الفيلسوفِ، وازداد إكبارُه له، وإعجابُه به، ثم نظر إلى حاشيتِه وحرَسِه وقال: قولوا ما تقولون، وظُنُّوا ما تظنّون، ولا تعْجَبوا من

إجلالى له ، وإعجابى به ؛ فإنه سَعيدٌ بحياتِه هذِه ، وإنِّى لَوْ لم أَكُنِ الإسكندرَ لَوَدِدْتُ أن أكونَ (ديُوجينِيس) الحكيمَ الفَيلسوفَ الزاهدَ .

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) أين كان يعيش الرجل الحكيم العالم ؟ وبماذا عرف ؟ وما رأيه فى الحياة الدنيا ؟

(٢) كيف كان يقضى يومه ؟

(٣) لماذا أقبل عليه الناس ؟

(٤) لقد عجب المارّون من أمر العالم الزاهد ، فما السبب فى ذلك ؟

(٥) بماذا أجاب الحكيم الزاهد حين سأله أحد المارين لماذا تحمل هذا المصباح يا سيدى العالم ؟

(٦) ماذا فعل الناس عند ما ذهب الإسكندر المقدونى إلى مدينة الحكيم الزاهد ؟

(٧) ما الذى حمل الإسكندر على مقابلة العالم الزاهد ؟

(٨) أين وجد الإسكندرُ العالم الزاهد ؟ وماذا قال له ؟

(٩) بماذا أجاب العالمُ عن قول الإسكندر ؟

(١٠) ماذا قال الإسكندر لحاشيته ؟

(١١) بين الغرض الذى ترمى إليه هذه القصة .

(١٢) هل تقر العالم (ديوجينيس) على رأيه أو لا تقره ؟ بين رأيك .

(١٣) اذكر هذه القصة بعبارة عربية صحيحة :

(ب) رتب الكلمات الآتية ، وضعها فى جملة مفيدة :

بالعالِمِ — مُعجَبٌ — الزاهدِ — أنا

القِصَّةُ الثَّانِيَةُ

وِلْيَم تِل

«قِصَّةٌ سُويسْرِيَّةٌ»

مُنْذُ مئاتِ السِّنِينَ كان يحكمُ سويسرةَ حاكمٌ[1] مُغْتَرٌّ بنفسِه ، كثيرُ الظُّلْمِ والطُّغْيانِ ، حَتَّى صارَ أهلُها فى شَقاءٍ وَبلاءٍ ، ولم يكونوا أَحْراراً سُعَداءَ فيمَا مَضَى كما هم فى هَذِهِ الأَيام .

وذاتَ يومٍ أقامَ الحاكمُ تِمثالاً كبيراً فى مَيْدانٍ عامٍّ ، ووضعَ قَلَنْسُوَتَهُ فوقَ ذلك التِّمثالِ ، وأمَرَ بأَنَّ كُلَّ مَنْ يمرُّ به لاَ بُدَّ أَنْ يَنْحَنِيَ أمامَه . نخضَع أَهْلُ سويسرةَ لهذا الأَمْرِ الشَّاذِّ إلاَّ رَجلاً[2] شُجاعاً واحداً ؛ فإنَّه أَبَى الِانْحِناءَ أمامَ ذلك التِّمثالِ ، فكانَ إذَا مَرَّ به وقفَ مَرْفوعَ الرَّأْسِ ، مُعتدِلَ القامةِ ، ثابِتَ الجأْشِ ، واضِعاً يَدَيْهِ على صَدْرِهِ

(١) هو (جِزلر : Gessler) . (٢) هو (وليم تِل : William Tell) .

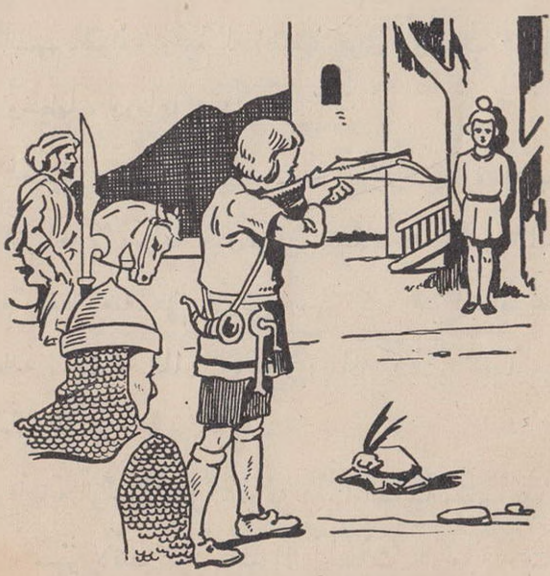
وهو يَضْحَكُ من تلك القَلَنسُوَةِ التى تُمِيلُها الرِّياحُ مِنْ جهةٍ إلى أخرى .

سَمِعَ الحاكمُ بعِصْيانِ ذلك الرَّجلِ وهوَ (وِلْيم تِل) ، فغَضِبَ الحاكِمُ كُلَّ الغَضَبِ ، وخافَ أَنْ يَمْتَدَّ العِصْيانُ ويَنْتَشِرَ حتى يعُمَّ أَنْحاءَ البلادِ ، فعزَمَ عَلَى مُعاقبَةِ ذلك الرَّجُلِ لمُخالفَتِه أمْرَهُ .

كان ذلك الرجلُ يَسكُنُ فى جهةٍ جَبَلِيَّةٍ من سويسرةَ ، فى بيتٍ رِيفِيّ جميلٍ ، تحيطُ به المناظِرُ الجبليَّةُ الجميلةُ . وكان يميلُ إلى الصَّيْدِ والرِّمَايةِ بالقَوْسِ والرُّمْحِ . عرفَ الحاكمُ ذلك فَفَكَّرَ فى حيلةٍ يتَّخِذُ بهـا مَهارَةَ الصَّيَّادِ وسيلةً لألمِه وحُزْنِه ، فأمرَ بإحضارِ ابن ذلك الصَّيَّادِ ووُقُوفه فى المَيْدانِ العامِّ عندَ ذلك التِّمثالِ . ووضعَ على رأسِه تفاحةً ، ثم أمرَ أباه أنْ يُصِيبَ التُّفاحةَ بِسَهمٍ من سهامِه . فتوسَّل الأبُ إلى الحاكِم الطَّاغِيَةِ بكلِّ الوسائِلِ ، ليُعْفِيَهُ من تلك التَّجْربَةِ ؛ إذْ خَافَ أَنْ يَقتُلَ ابنَهُ إذا تَحرَّكَ أقلَّ حرَكَةٍ ، أوْ أَخْطَأَ السَّهْمُ التُّفاحة ، أوِ ارتَعَدَت يَدُ

الصَّيَّادِ. وقال للطَّاغيةِ : أتُرِيدُ منِّى أنْ أقتُلَ ابنى الوَحيدَ بيدِى ؟

فأجابَ الطّاغِيَةُ : لا تَتَفَوَّهْ بشىء ، ولا تَتَكَلَّمْ بعدَ الآنَ . بَلْ يجِبُ أن ترْمِىَ التُّفاحَةَ بِسَهْمِكَ ، وتعمَلَ على أنْ تُصيبَهَا وإذا لم تُصِبْهــا أمَرْتُ جُنودى بِقَتْلِ ابنِك أمامَ عَيْنَيْكَ .



صورة (وليم تل) وهو يحاول أن يصيب بسهمه التفاحة
التى وضعت على رأس ابنه

لم يَفُه الأَبُ ببِنت شَفَةٍ ، ووضَعَ السَّهْمَ فى القَوْسِ ، وَأَطْلقَه ليُصيبَ التُّفاحَةَ .

كان الولدُ واثِقاً تمامَ الثِّقَةِ بمهارةِ أبيه فى الصَّيْدِ والرِّمايةِ ، فوقف رابطَ الجأشِ ، ثابتَ الجَنَانِ ، لا يُخالِجُه خَوْفٌ ، ولا يَظْهَرُ عليه رُعْبٌ أو فَزَعٌ . وفى ذلك الوَقْتِ مرَّ السهم بالهَواء ، وسُمِعَ له حفيفٌ قَوىٌّ ، وأصابَ التُّفاحَةَ فى وسطِها ، ورماها بَعيداً .

حينَئِذٍ صاحَ المجتمعون فرَحاً وإعجاباً بمهارةِ الأبِ ، فأطلقَ الحاكمُ سَراحَه ، ولَكِنْ حينَما أخذَ يغادِر الميْدَانَ العامَّ سقطَ منه على الأرضِ سَهْمٌ كان قد أخفاه تحتَ مِعْطَفِه ، فناداه الحاكمُ وسأَلَه : ماذا كُنْتَ تقصِدُ بهذا السَّهْمِ الآخَرِ ؟

فأجابَه الرَّجلُ بكلِّ شجاعَةٍ : أيُّها الطاغِيَةُ ، لقَدْ أعدَدْتُ هذا السَّهْمَ لِأَقتَصَّ به مِنك إذا أخْطَأْتُ الرِّمايَةَ وقَتَلتُ ابنى ، وَالآنَ وَقدْ نَجا وَلَدى رَغِبْتُ أن أُنْجِىَ الرعية

مِنْ طُغْيانِكَ وظُلمِكَ، ثم أَطْلَقَ السَّهْمَ عَلَيْهِ، فوقَعَ على الأرضِ صَرِيعاً، وأَنْقَذَ بلادَه من الظُّلْمِ والطُّغْيان، والانحِناءِ أمامَ التَّماثِيلِ والأَصْنامِ.

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) لماذا لم يكن أهل سويسرة أحراراً سعداء فى غابر الأيام كما هم الآن؟
(٢) ماذا فعل الحاكم المغتر بنفسه؟
(٣) ما الذى كان يفعله الرجل الشجاع حين يمر بالتمثال؟ وما اسمه؟
(٤) أين كان يسكن الرجل الشجاع؟ وما الذى كان يميل إليه؟
(٥) ما الحيلة التى فكر فيها الحاكم الطاغية؟ ولماذا فكر فيها؟
(٦) هل كان الرجل الشجاع يخشى شيئاً؟ اذكر السبب، وبين ماذا فعل؟
(٧) كيف كان حال الولد الصغير والتفاحة فوق رأسه؟
(٨) لماذا صاح المجتمعون فرحين معجبين؟.
(٩) ما الذى كان يخفيه الرجل الشجاع تحت إبطه؟ ولماذا؟
(١٠) بماذا أنقذ الرجل الشجاع بلاده من الظلم والطغيان؟
(١١) اذكر هذه القصة بعبارة صحيحة من عندك.

(ب) رتب الكلمات الآتية، وكوِّن منها جملة مفيدة:

الأبُ، أنقذَ، مِن، الظُّلمِ، بلادَه، والطغيانِ

القِصَّةُ الثالِثَة

طريدُ الإنسانيةِ ...

قصةٌ من الأدَبِ الفرَنسيِّ

(جُون ڤالجان)

كان (جون ڤالجان) ابناً لنجارٍ ، تُوُفِّيَ وتَرَكهُ صَغيرًا ؛ فقامَتْ أختُه الكبرَى بتربيتِهِ والعنايةِ به حَتى وجَدَ له عملاً يَكْسِبُ منه قوتَه . ولَكِنْ حدَثَ حينما بَلغَ من العُمرِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنةً أنْ تُوُفِّيَ زَوجُ أُختِه ، وتركَ لها سَبعةً من الأطفالِ الصِّغارِ ، فلم يَنسَ (جون) جَميلَ أُختِه ، ورأى وَاجِباً عليه أنْ يَكفلَ أولادَها ، ولكنَّه وجَد صعُوبةً فى إطعامِهم والإنفاقِ عَليهم ؛ لأنَّ عَملَه لا يُدرُّ عليه إلا قليلاً من المالِ .

وفى يومٍ من أيامِ الشِّتاء لَم يجِدْ عَملا يعمَلُه ، معَ رَغبتِه فى العمَلِ ، وحُبِّه له ، وقُدرَتهِ عليه ، ولم يجِد الأطفالُ خُبزاً يَقْتَاتون بِه ، فأخَذوا يَبكونَ حتَّى كادوا يَموتونَ من شِدةِ الجوعِ .

فلَمْ يُطِقْ صَبرا ، وخَرجَ ليلاً وذهَبَ إلى حانوتِ خبازٍ ، وكَسرَ نافِذتَه ، وأخَذ معه إلى بيتِه رغيفاً من الْخُبزِ لهؤلاءِ الأطفالِ الجِياعِ .

وفى الصباحِ التالى قبِضَ عليه مُتَّهماً بالسَّرِقَةِ ، وشهِدَتْ عليه يَدهُ المجروحةُ ، وأُرسِلَ إلى السِّجنِ ، ووُضِعتِ الأغلالُ والسَّلاسِلُ فى عُنُقِه ويَدَيْه .

مَكَثَ فى السِّجنِ أربعَ سَنواتٍ ، وقبل نهايتِها حاولَ الفِرارَ من ذلك السِّجنِ ، فقُبِض عَليه ، وحُكِمَ عليه بثلاثِ سَنواتٍ أُخرَى ، ثم حاولَ الهربَ ثانيةً فلم ينجحْ ، وكانت العاقبةُ أنْ بَقِيَ فى السجنِ تِسعَ عَشْرةَ سَنَةً ، بدلاً من أَربعِ سَنواتٍ ، كلُّ ذلكَ من أَجلِ سَرِقَةِ رغيفٍ من الْخُبزِ يُطعِمُ به أَطفالاً جِياعاً .

انتَهتْ تلكَ الْحِقبةُ الطويلةُ، وتركَ (جون ڤالجان) السجنَ، وقد قَسا قَلبُه ، وأَخذَ يَشعُرُ بسُخطٍ على العالَمِ وما فيه ، وصارَ إلى الحيوانِ أَقْربَ منه إلى الإنسانِ .

نفَرَ منه الجميعُ حتّى أصبحَ منبوذًا مُشرَّدا طريداً ، ينفِرُ من الناسِ ، والناسُ ينفِرون منه . ذهَبَ إلى فُندُقٍ صغيرٍ ليبحثَ عن عَملٍ أو مَأوًى فطرِدَ شرَّ طِرْدَةٍ ؛ فقد عُرِفَ أنه مُجرِمٌ خَطِرٌ اعتادَ الإجرامَ .

وما بالُك برجلٍ يُحكَمَ عليه بالسِّجنِ تِسعَ عَشْرَةَ سَنَةً ؟ وحيثما ذهبَ سَبَقَتْه أخبارُه ، ونبذَهُ كلُّ مَن التجأَ إليه أو توسَّل به ، ولم يَسْمَحْ له أحَدٌ بالنومِ حتَّى فى مَأوَى كلبٍ من الكلابِ ، أو بإعطائهِ شيئًا من فضَلاتِ الطعام . وأيْنَ توَجَّهَ قُوبِلَ بمُقابلَةٍ قاسيةٍ دُونَها كلُّ قسوةٍ وغِلظَة . وصاحَ الكلُّ فى وجهه : اخرجْ أيُّها المجرم ، وإلاّ دَعوتُ لكَ الشُّرطَةَ لتُكَبِّلَ يدَيْكَ الآثمتَينِ بالحديدِ .

أَخذَ (جون فَالجانُ) يذرَعُ الطُّرُقَ حتى اهتَدى إلى بَيتِ أُسقُفٍ وهو رئيسٌ دينىٌّ للمَسيحيِّينَ ، كانَ رحيمَ القلبِ ، كثيرَ العطفِ ، عَظِيمَ الإحسانِ ، تَمنَحُه الحكومةُ فى السنةِ سِتَّمائةِ جُنيهٍ لما يُؤَدِّيه من الواجباتِ الدِّينيةِ . فكانَ يُنفِقُ على

نَفسِه أربعينَ جُنيها ، ويُنفِقُ الباقىَ على الفقراءِ والمساكينِ من بَنى الإنسانِ . وكانَ يَعيشُ عِيشَةَ الزُّهَّادِ ، لا يُفكِّرُ فى نَفسِه ، بل يُفكِّرُ فى غيرِه . يُحِبُّ الناسَ جميعا ، والناسُ جَميعا يُحبونَه ؛ لأنه طَيِّبُ القَلبِ ، مُحِبٌّ للخير ، كثيرُ الإحسانِ .

وحينما دخل (فالجانُ) بيتَ الأسقُفِ انتَبه إليه كُلُّ من رآهُ ، فقد كان يَبْدُو عَلَى أساريرِ وجْهِهِ أنّه رجلٌ خَطِرٌ كثيرُ الإجرام ، وما كان هـذا المِسْـكينُ مجرمًا ، ولـكنَّ البيئةَ الظالمةَ القاسيةَ هى التى جَعَلتْه مُجرما .

تَقدَّمَ إلى الأسقُفِ ، وصاحَ بصوتٍ مُرتفعٍ : أنظُر ! ! . لَقَدْ كنتُ سَجِينًا . وهاكَ صحيفةَ لشخصيتِى . ومنها تَرَى تلك الأحكامَ :

« أربعُ سَنواتٍ للسَّرِقة ، وخمسَ عَشرَة سنة لمحاولةِ الهَرَبِ من السِّجنِ . ذلكَ الرجُلُ خَطِرٌ جِدا » ، فالآنَ أنتَ تَعرِفُنى ، ورجائى أن تُعطِيَنى قَليـلا من الطعامِ ، وتَسمَحَ لى بالمَبيتِ ولَو فى مَربِطِ الخيلِ .

فنظرَ إليه الأسقُفُ وقال لَه : « اجلِسْ لِتَستريحَ وتُدْفئَ نفسَك . إنكَ ستَتناولُ العَشاء معى ، وستَنامُ فى حُجرةٍ خاصَّةٍ بك . »

لم يَستطعْ (جون فالجانُ) أن يُصدِّقَ هذا القَول ، فقد عوَّدَه المجتمعُ أن يَقْسُوَ عَليه فى غَير رحمةٍ ولا شَفقَةٍ .

اشتَدَّ فرحُ (جون فالجانَ) لأنه وجَدَ إنسانا يَعطِفُ عليه فى النهايَةِ . وأخبرَ الأُسْقُفَّ بأن لَديه نقوداً يَستطيعُ أن يَدفَعَ منها لعَشائه ونومه . ولكن الأسقُف قال له : « لقد أَتيتَ قومًا أهلاً ، فمَرحَبًا بك ، إن هذا البيتَ ليسَ ببيتى ، ولكنَّه بَيتُ الإنسانية ، وهُو للفقراءِ والمساكينِ . لقد عرَفْتُ اسمَك قبلَ أن تُرِيَنى بطاقَتَك . . إنكَ أخى ، وأنا أخوك . »

وبَعد العَشاءِ استَراحَ القسُّ والضَّيْفُ قَليلا ، ثمَّ أَوَى كلٌّ إلى فِراشِه ، وفى أثناءِ ذَلك أَعطى الأسقُفُّ (فالجانَ) إناءً فِضيًّا به شَمعةٌ مُشْتَعِلةٌ . وذهَبَ مَعه ليُريَه حجرَةَ نومِه التى أَعَدَّها له .

وفى مُنتَصَفِ الليلِ استيقَظَ (فالجانُ) وقد فاضَ قَلبُه كُرْهًا للعالَمِ ومَن فيه ، وشَعَرَ بأن الوقتَ قد حانَ لينتَقِمَ لنفسِه مِن ذلك المُجتَمِعِ القاسِى الذِى لا يَعرِفُ الرحمةَ ، ولا يَشعُرُ بحقوقِ الأفرادِ . تذكَّرَ السكاكينَ والشَّوكاتِ والملاعقَ الفِضيةَ التى استُعمِلَتْ فى العشاءِ ، فصَمَّمَ فى أَنْ يَسْرِقَها ويَهرُبَ بها ، فجَمَعَ ما استطاعَ أَنْ يأخذه منها ، ثم نزَلَ إلى الحديقةِ يَطلُبُ الفِرارَ .

وحينما استيقظَ الأسقُفُ فى الصباحِ عَلِمَ من رئيسِ الخدمِ أن الأوانىَ الفِضِّيةَ قد سُرِقَتْ ، فقال : لقد فكَّرتُ مُنذُ مدةٍ ليستْ بالقصيرةِ فى التخلصِ مِن تلكَ الأوانِى ، وكانَ من الواجِبِ أن أتَصَدَّقَ بها على الفقراءِ ؛ ليَستعينوا بها فى مَعيشَتِهِمْ . ولا مِريةَ فى أن ذلكَ الرجلَ فقيرٌ ، وفى حاجةٍ إلى العَطفِ والشَّفقةِ والمعونةِ .

وفى وقتِ تَناوُلِ الطعام صَباحا حَضَر خمسةٌ من الجنودِ إلى مَنزِلِ الأسقُفِ ومَعَهم (جون فالجانُ) ؛ فقد قبَضوا



(جون فالجان) طريد الإنسانية

عليه وهو يَبيعُ ما سَرَقه من الأوانِي الفِضّيةِ . فلما دَخلوا نَظرَ الأسقُفُ إليه، وقالَ له : لقد عُدْتَ يا (فالجانُ) . إنى مَسرورٌ لرؤيتك . وإنى أمنَحُكَ هذِه الأوانىَ الفِضية الأخرى، وهى تساوى ثمانيةَ جنيهاتٍ وقد نسِيتَ أن تأخُذَها معَك ، فلِمَ لمَ تأخُذْها مَع ما أخَذْتَ من الأوانِي يا (فالجانُ) ؟

تَأثَّر (فالجانُ) كلَّ التأثر لهذا العطفِ الذى لم يَنتظرْه ، وتَأثَّرَ الجنودُ لهذا المنظرِ . ثم قال أحَدهم : إنَّ هذا الرجلَ قد أخبرَنا بأن الأسقُفَ العظيم ، قد مَنَحه تلك الأوانىَ الفِضيةَ ، ولـكنَّنا ظَنَنَّا أنه سَرَقَها وهَرَب بها ، فقَبَضْنا عليه وهُو يَبيعُها لأحدِ التُّجار .

فقال الأسقُفُ : لقد أخطأتُم فى إرجاعِه . دَعُوه يَذهَب ؛ فقد وَهَبْتُ له هذه الأوانىَ ليَستعينَ بها على الحياة . فخرجَ الشُّرَطُ ، وترَكوا (جون فالجانَ) مع الأسقُفِ . فسأَل (فالجانُ) الأسقُفَ : أحقًّا أنِّى لن أَعودَ إلى السجنِ ؟ وهلْ يُمكِنُنى أن أتمتعَ بالحرية وأَعيشَ حُرا ؟

فأجابَ الأسقفُ : حَقًّا إنكَ حُرٌّ ، ولن تعودَ إلى السجنِ بَعدَ اليومِ . ولكنْ قبلَ أن تخرُجَ خُذْ مَعكَ الأوانىَ الفضيةَ الأخرَى . فَدَهِشَ (فالجانُ) كلَّ الدَّهْشَةِ ، واعتَراه الذهولُ ، وأخَذَ الأوانىَ وهو يَشْعُرُ كأنَّه فى حُلْمٍ . ثم قال الأسقُفُ :

« لا تخَفْ ولا تحزَنْ ، وهَدِّئْ مِنْ رَوْعِك ؛ فَلَسْتَ فى حاجةٍ إلى أن تهرُبَ من البابِ الخلفىِّ للحديقةِ ؛ فالبابُ الأمامىُّ مَفتوحٌ لكَ دائمًا ليلاً ونهاراً ، لتأتِىَ متى شِئْتَ ، وتخرُجَ آمِنًا متى أرَدْتَ .

زَادَ تأثُرُ (فالجانَ) لذلك العَطفِ الذى لم يَعْهَدْه من قَبل ، وأغمِىَ عليه ، وأَصابَهُ الذُّهولُ ، فأخَذَ الأسقفُ يَده وهَدَّأَ مِن رَوْعِه ، وبَدأَ يُحادِثُه حتى عادَ إليه صَوابُه ، ثمَّ قالَ له : أرْجو أن تنتفِعَ بهذهِ النقودِ فى مَعيشَتِك وحياتِك . فيمكنكَ أن تتَّجِرَ بها حتَّى تصِيرَ رَجُلا أَمينا كما كُنْتَ من قَبلُ . ولكن (فالجان) لم يَتذكَّرْ أنه وَعد

بشيء مُطلقا ، فوقفَ يُصغِى مُتأثِّرا ، والأسقُفُ ينصحُه قائلا : (جون فالجان) . أنتَ أخِى ، ولن تكونَ شَرِيداً أو طَرِيداً بَعدَ اليومِ ، وستَصيرُ من الآنَ رَجُلا مستقيما كامِلا . لقد دَعَوْتُ الله لكَ أن يَهدِيَك الصراطَ المستقيمَ ، ويُبعِدَكَ عن الشَّرِّ وارتكابِ الآثامِ . وإنِّى مُستعِدٌّ دائما لمُساعدَتِك فى أىِّ وقتٍ ؛ فاذهَبْ واعمَلْ ، وبالله تَوفيقُك) .

عِندئذٍ أخَذَ قَلبُ (جون فالجانَ) يَتَرَدَّدُ بين الخير والشرِّ : أيَختارُ الأوَّلَ أم الثانىَ ، ولكنَّ اللهَ قد أجابَ الدعاء ، وأخَذَتْ عَواملُ الخير فى نفسه تتغَلَّبُ على بَواعِثِ الشَّرِّ ، حتى صَارَ رَجُلا أمينا طيبَ القلبِ مُستقيما ، يُحِبُّه المجتَمعُ بَعد أن نَفَرَ منه ، ويُحسنُ إليه بَعدَ أن أساءَ إليه ، وأخَذ يعمَلُ ويَشتغِلُ بالتجارةِ مُعتمِداً على نفَسِه ، حتى نجحَ فى عَملِه . وعاشَ شَريفا مُمتَّعا بحياة كلُّها أمانةٌ وإخلاصٌ .

أسئلة في القصة :

(١) صف شعور « جون فالجان » نحو أخته .

(٢) لماذا سرق « جون فالجان » رغيف الخبز ؟ وما الذى حمله على السرقة ؟

(٣) سجن « جون فالجان » ، ثم حاول الهرب من السجن مراراً ، فما الذى ترتب على ذلك ؟

(٤) حكم على « جون فالجان » بالسجن ١٩ عاماً من أجل رغيف من الخبز يطعم به أطفالاً جياعاً ، فهل كان هذا حكما عادلا ؟

(٥) لماذا قسا قلب « جون فالجان » وسخط على العالم ومن فيه ؟

(٦) كيف كان الناس يعاملون « جون فالجان » ؟

(٧) صف حال الأسقف الذى اهتدى إلى بيته « جون فالجان » .

(٨) بماذا عامل ذلك الأسقف « جون فالجان » ؟

(٩) ما الذى شعر به « جون فالجان » حين استيقظ بعد منتصف الليل فى بيت الأسقف ؟

(١٠) بين موقف الأسقف حين جاءه الجنود الأربعة « بجون فالجان » مقبوضاً عليه ؟

(١١) ماذا كان يقصد الأسقف من موقفه هذا ؟

(١٢) لماذا أغمى على « جون فالجان » ؟

(١٣) كيف صار « جون فالجان » رجلا شريفاً طيباً ؟

(١٤) ما رأيك فى هذا القس النبيل ؟ وهل تتمنى أن تفعل مثله ؟ ولماذا ؟

القصة الرابعة

الطبيبُ المحرِّرُ للعبيدِ

لقد كان (وِلْيَم وِلبَرْفُورْس)[1] أَحَدَ عُظَماءِ الإنجليز الذين نَادَوْا بتحريرِ العبيدِ ، وأَخَذَ ينادى بتلكَ الفِكْرَةِ بكلّ جُرْأةٍ وشَجَاعَة ، فى وقتٍ كان الشُّعورُ العامُّ السَائِدُ فى الممتلكاتِ البريطانيّة أنه ليس هُناكَ ما يَدْعو إلى تحرير الرِّجال والنِّساء والأَطْفالِ من البَيْع والشِّراء ، واتخاذهم عبيداً فى المسْتَعْمرات لسادتِهِم الأورُوبيِّين بِيضِ الوُجُوه . ولقد رَبِحَتْ بريطانيا ثَرْوَةً كبيرةً من الاتِّجارِ بالعبيد فى القرن الثامنَ عشر ، تلك التجارة التى طالبَ « وِلبَرْفورْس » شَعْبَه بأن يُضَحِّيَ بها فى سبيل الإنسانية ، ويُضَحِّيَ بها بمحْضِ إرَادَته واختِيارِه . وكانت تلك التجارةُ مُنْتَشِرَةً بانجلترا حين بلَغَ « وِلْبَرْفُورْس » ثلاثَ عَشْرَةَ

(١) William Wilberforce

سنةً من العُمر أى سنة ١٧٧٢. ومما دعا «ولبرفورس» إلى المُطالبة بتحرير العبيد اعتقادُهُ أن العبدَ إنسانٌ وليس بحيوان. إنسانٌ له رُوحُه وعَقلُه وحُقوقه، إنسانٌ له الحقُّ فى الحُرِّيةِ والعطفِ والشفَقَة والمُساواةِ، له الحقُّ فى أن يكونَ حُرًّا كالرَّجلِ الإنجليزيِّ نفسِه، فالعبْدُ فى نظرِه إنسانٌ له ما لِلإنسان من حُقوق، سواءأكان رَجُلاً أم امرأة أم طِفلا، مهما يكنْ لونُه، ومهما يكنْ بلدُه الذِى يَنْتَسِبُ إليه، ومهما تكن جِنْسِيَّتُهُ التى يَتَجَنَّسُ بها.

صوَّرَ «وِلْبَرْفُورْسُ» الطريقة التى يُعامَلُ بها العبيدُ بصورة بَشِعَةِ المنظر لعبد وُضِعَ الغُلُّ فى عُنقِه، والسلاسلُ فى يَديه ورجليه. أخذ يُصوِّرُ تلك الصورةَ أمام بريطانيا مُنادِيًا بجعْل العبيد أحرارًا، واستمرَّ ينادى بتحرير العبيد فى انجلترا أكثرَ من أربعين سَنةً بغير انقِطاع، حتى بَدَأَتْ بريطانيا تَكْتَرِثُ لِندائه، وكان يُنادي بهذا المَبْدأ عن عَقِيدة؛ لأنه كان يعتقِدُ أن الدِّيانَة المسيحيةَ التى تدينُ بها انجلترا ضِدّ العبُودية والاسْتِرْقاق.

المعارَضة فى تحرير العبيد .

وحينما بَدَأ « وِلْبَرْفُورْس » حَرَكَتَهُ المُبَارَكَة فى المُناداة بتحرير العَبيد كان (وليم بِت[١]) الصغير رئيساً للوزراء بانجلترا ، وكان رئيسُ الوزارة وكثيرٌ من الوزراء يُعَضِّدون « ولبرفورس » فى حركته ، ولكن الشعْبَ كان مُعارِضاً للفِكْرَة ، وبخاصَّةٍ هؤلاء الماليّون أصحابُ الممتلكاتِ العظيمةِ فى المسْتعْمَرات البريطانية ؛ خَوْفاً من أن تتأثَّرَ ثروتُهم وأملاكُهم إذا مُنِحَ هؤلاءِ العبيدُ ما يستحِقونه من حُرِّيَّة ، وخَوْفاً من أن تتأثَّرَ تجارتُهم فى شِراء العبيد وبيْعهم ، وأخذوا يقولون : من الذى يقومُ بالعَمَل فى تلك الأراضى وتلك المناجم إذا زالت العُبودية ؟ لهذا كان بعضُهم يعْتَقدُ أن العُبودِيةَ شَرٌّ لا بُدَّ منه ، ورأى آخرون أن هؤلاءِ العبيدَ وتلكَ الشعوبَ الملَوَّنَةَ لا يَسْتَحِقُّون أن يُفَكِّرَ فيهم أحد .

أخذ « وِلْبَرْفُورْس » يتقدَّم إلى مَجْلس العُموم بمشروع تحرير

(١) William Pitt the Younger

العبيد مرةً بعد أخرى، ولكنه كان يُقابَلُ بالرَّفضِ دائماً. لم يتسرَّب اليأسُ إلى قلبِ ذلك الرَّجل، وأخذ يُطَالب وينادى بتحرير العبيد حتى بدأت انجلترا حُكومةً وشعْباً تنظر إليه نَظرةً جديدة، وحتى فاز فى النهاية بعد عشرات السنين.

أول الغيثِ قطرٌ:

لم يَنْتَظِر ذلك الرَّجلُ العظيمُ أن يَنْتَصِرَ مرةً واحدةً، ولم يَنْتَظِرْ أن تُلْغِيَ بريطانيا الاسْتِرْقاقَ والاستعبادَ مرةً واحدةً، ومن الأشياء الأولى التى قام بها أنه دعا جماعاتٍ من العظماء لزيارة سفينة من السُّفُن المحَمَّلةِ بالعبيد للتِّجارةِ فيهم؛ ليَرَوْا كيف يُعامَلُ هؤلاءِ العبيدُ، وهم على ظَهْرِ السَّفينة فى مكانٍ ضَيِّقٍ لا يَتَّسِعُ لهم، وكيف يُجْمَعُونَ كما يَتَجَمَّعُ القَطِيعُ من الغنم، وكيف يُعامَلون كما يُعامَلُ الحيوان، وكانت نَتِيجَةُ تلك الزيارة أن تأثَّر الزائرون بهذا المنظر، وبقسوة تلك المعاملة، فقرَّر مجلسُ العمومِ تحديدَ عددِ العبيد الذى ينقل على ظَهْرِ السَّفينة، وترك الفراغِ الكافى لهم كى لا يشْعروا بهذا الضِّيق، وما هذه

إلا خُطوةٌ صغيرةٌ نحو الأمام من العَمل العظيم الذى يُنادى به «ولبرفورس» ، تلك الخُطوة الصغيرة تعدُّ بُشْرى النجاح لذلك الرَّجل العظيم ، وتدلُّ على أن هذا بَدْء الانتصار والفوز ، وعلى أن من الممكن أن تؤثرَ فى الرَّجل الإنجليزى حتى يتألمَّ للرجل الأسودِ من بنى الإنسان .

استَمرَّت المقاومةُ سنواتٍ بين « ولبَرْفُورْسَ » ومعارضيه من التُّجار والمُلاَّك الأغنياء ، ولـكن شَجاعَته وَمُثابرَته على النِّداء بمَبْدَئه ، وحياتَه النقيةَ الطاهرة ، كل هذه الصِّفاتِ تركت بالتَّدريج أثراً فى نَفسِيَّة الشَّعْبِ الإنجليزى الذى يُفـكرُ فى حَقِّ هؤلاء العَبيد فى الحُرِّيَّة، وفيما يُلاقونَه من ظُلْم وَقسوةٍ فى المعاملة .

بَدَأ ذلك الرَّجلُ العظيمُ حياته ونِداءه. ولَدَيْه ثَرْوَةٌ كبيرة خاصَّةٌ به وَرِثَها عن أبيه ، ولـكن تلك الثَّروَةَ كلَّها قد أنْفَقَهَا فى سبيل تلك المساعى الجبَّارةِ التى بَذَلَها لإيقاظ الشُّعور العام فى انجلترا لِتَحْرير هؤلاءِ العبيدِ المساكين ، وبَدَأ الشُّعورُ فى انجلترا يَتَحوَّلُ نحوَ فِكرَةِ تحرِير العبيد .

فى سنة ١٨٠٥ م حَصلَت بريطانيا على مُسْتَعمَرات جَديدَة من حُروب نابليون، فحَرَّمَت فى تلك المُسْتعمرات الجديدة الاتجارَ بالعبيد . وفى سنة ١٨٠٦ وُضِعَ قانون يُحَرِّمُ على البريطانيين بَيْعَ العبيدِ أو شِرَاءَهم فى أىٍّ مكان من الأمْكِنَةِ ما عدا المُسْتعمَرات البريطانية الأولى . وفى سنة ١٨٠٧ أُلْغِيَتْ تِجــارَةُ العبيد كُلِّيَةً ، وحُرِّمَتْ هذه التجارَةُ كُلَّ التَّحْرِيم .

ولكن « وِلْبَرفُورس » لم يَقْتَنِعْ بتلك النَّتيجةِ ؛ فإن هذا القانونَ قد حَرَّمَ شِراءَ رجالٍ أو نساءٍ أو أطفال جُدُد وَبَيْعَهم فى المستقبل ليكونوا عَبيدا ، ولكنه لم يُحَرِّرْ هؤلاء الذين كانوا عبيداً بالفعل واشْتُروا أو بيعوا فى الماضى ، فهؤلاء ما زالوا مُسْتَعبَدِين ، والأَغْلالُ فى أعناقهم . لم يَقْنَعْ ذلك الرجلُ بتلكَ النتيجةِ . وما زَال يُنادى بتَحْرِير العبيد الذين حُكِمَ عليهم بالعُبوديَّة فى الماضى ، واستَمَرَّ يُبَيِّنُ لانجلترا كيف يُعامَلُ هؤلاء العبيد ، ولم يُنزِل تلك الصورةَ

التى صوَّرَها للرِّقِّ والعبوديَّةِ ، وقد مكث نحوَ عشرينَ سنةً ، وهو يُنادى بتحريرِ العبيدِ فى جميعِ المُستعمراتِ قديمِها وحديثِها ، وأخذَ ينادى سِتَّ عشرةَ سنةً أُخرى بإعْطاءِ الحريَّةِ لكُلِّ عبدٍ فى المستعمراتِ البريطانية ، وأخيراً وفى الوقتِ الذى بَدا فيه الضَّعفُ على « وِلْبَرْفُورْسَ » وبدا عليه كِبَرُ السِّنِّ رفعت بريطانيا يَدَها ، لِتَقْضِىَ على سلاسل الاسْتِرقاقِ ، وأمَرَتْ بتحريرِ العبيد جميعا فى كلٍّ ممتلكاتها ، وتمَّ ذلك قبل وفاته .

عَظَمَةُ هَذَا الرجُلِ :

لقد عاش « وِلْبَرْفورْسُ » ليرَى أثَرَ انْتِصارِه وانتصارِ مَبْدئه فى حياته ؛ فقد وُلِدَ ثريًّا من أكْبَرِ الأثْرياءِ ، وتربَّى تربيةَ الأشْرافِ . وكان فى اسْتِطاعَته أن يكونَ فى أكْبَرِ المراكزِ ومن أكبر رجالِ السِّياسَة ، ولكنَّه ضَحَّى بثرْوَتِهِ ومَرْكزه ومُستقْبَلِهِ ووقتِه وصِحَّتِه وقُوَّته فى سبيل

ذلك المَبْدأ الإنسانىّ ، مَبْدأ تحْرِيرِ العبيدِ ؛ لأنه كان يَعْتَقِدُ أنَّ الدُّنْيا فانِيةٌ ، وأن المالَ والثروةَ والمراكزَ والقوَّةَ كلَّها فانيَة ، وليست بِخالِدَة ، ولكن العَمَلَ العظِيم الخالِدَ هو التَّفكيرُ فى الإنسان ، وفى الناحية الإنسانيَّةِ ، وفى الحقِّ والعدالة . وقد حدَثَ ذاتَ مرةٍ أن أَحَدَ أبنائِه طَلَبَ منه أن يَشْتَرِىَ للأُسْرَةِ بَيْتاً يَقْرُبُ من بُحَيْرَة « جراسمير »(١) الجميلة ، فأجابه أبوه : « يجبُ أن تتذكَّرَ يا بُنى أننا لم نُرْسَلْ إلى هذا العالمِ للإعجابِ بالمناظِرِ الجميلة والتَّمتُّع بمُتَعِ الحياة فقط ؛ فهناك أشياء أجملُ من تلك المناظِرِ وألذُّ مِن مُتَعِ الحياةِ ، تلك هى التَّفْكيرُ فى بنى الإنسانِ . ويجب أن نُحاكِىَ هؤلاء العظماء الذين أتَوْا إلى هذا العالمِ لِيَخْدُمُوا غيرَهم ، لا لِيَخْدُموا أنْفُسَهم . وإذا احْتَجْنا إلى الرَّاحَة من الأعمال الشَّاقَّة بين حين وآخر جازَ لَنا أن نَسْمَحَ لِأنْفُسِنا بالتَّمَتُّعِ برُؤيَة تلك المناظِرِ لا لمجَرَّدِ التمتع ،

---

(١) The Lake of Grasmere

بل لنتَمَكَّنَ من العَمَل لإتْمامِ ما علينا من وَاجِبَاتٍ نحوَ الفُقَرَاءِ من بنِي الإنسانيةِ . »

هكذا كانَ الرُّوحُ المُسَيْطِرُ على حَياةِ هذا الرجلِ العظيمِ ، حياته المَمْلوءَة بالتَّضْحِيَة ، التَّضْحِيَة في سَبيل غَيْره ، في البَيْت وفي السِّياسة ، وفي الحياةِ وفي العَمَل . وكانتْ حَياتُه كلُّها نقيَّةً باهرةً مَمْلوءَةً بالإخْلاص والطَّهارة والاسْتِقامَة والتَّضْحِيَة .

ولقدْ قال عنه « رُوبَرْت[1] هُول » : « إنهُ رَجُلٌ صَغيرُ الجسم ، قَبيحُ المَنْظَر ، ولكن انظرْ إلى وَجْهه ، اسمَعْه وهو يَتَكلَّم ؛ فإنك تَنْسَى كُلَّ شيء ؛ لأنهُ المَثَلُ الأعْلى للإنسانيَّة ، في نَظراتِه ، وفي أقوالِه وأعْمالِه . »

لقد وُلِدَ ذلك الرجلُ غنيًّا ثَرِيًّا ، ولكنه تُوُفِّيَ فقيرًا ، مضَحِّيًا بثَرْوَتِه وثَرْوَةِ أوْلادِه منْ بعْدِه ، فثَرْوَتُه كلُّها قدْ ذَهَبتْ ، وكلُّها أُنفِقَتْ على غيْرِه من بنى الإنسان . أُنفِقَتْ على الفُقَراء والمَرْضَى والعَبِيد ، وأبناءِ السبيل ، والمَطْرُودِين والمُشَرَّدِين .

---

(١) Robert Hall

وكَان هؤلاء جميعًا يعلمون حقّ العِلْم أنهُ صديقٌ لهُم ، صَديقٌ لمنْ لا صَديقَ له ، ومُعينٌ لمنْ لا مُعينَ له . كان يتَصدَّق سِرًّا ، ويُحْسِنُ سِرًّا . وعنْدَ وفاتِه حَزِنَتْ عليـهِ الإمبراطورية الإنجليزية حُزْناً شَديداً ؛ فقدْ تَعِبَ في حَياتِه في سبيلِ الدِّفاع عن الإنسانية .

ولقد دُفِنَ « ولْبَرْ فُورْس » فيمَقْبَرَةَ (وِسْتْمِنِسْتِر(٢)) حيث يُدْفَن الأَبْطال والعُظَماء ، والأُدَباء والعُلماء . وسيُذْكَرُ دائما بين رِجال التاريخ على أنه فرْدٌ انتصَرَ على شعبه ، وقام بتحرير العبيد ، وحققَ المثل الأعلى ، وانْتَصَرَ للْحَقِّ والعَدالة انتصاراً باهرا ، ووَضعَ أُسُسَ الحريةِ . فهوَ بِحَقّ يُعَدُّ الواضِعَ للْحَجرِ الأَساسِيِّ في تحرير العبيدِ .

---

(١) Westminster Abby

أسئلة فى القصة :

(١) ما الفكرة الإنسانية التى أخذ (وِلْيم وِلْبَرْفورْس) يعمل على تحقيقها ؟

(٢) ما الاعتقاد الذى كان يدين به (وِلْيم وِلْبَرْفُورس) والذى من أجله طالب بتحرير العبيد ؟

(٣) من كان يعارض فكرة تحرير العبيد فى انجلترا ؟ ومن كان يؤيد هذه الفكرة و يعضد (وليم ولبرفورس) ؟

(٤) ماذا كان يقصد (وليم ولبرفورس) من دعوة بعض العظماء لزيارة سفينة محملة بالعبيد ؟

(٥) وماذا كانت نتيجة هذه الزيارة ؟

(٦) فيم أنفق (وليم ولبرفورس) ثروته الكبيرة ؟

(٧) ما أولى النتائج التى برهنت على تحول فكرة الشعب البريطانى نحو تأييد فكرة تحرير العبيد ؟

(٨) متى ألغيت تجارة العبيد ؟

(٩) ما الذى كان يسعى إليه (وليم ولبرفورس) بعد صدور القانون الخاص بتحريم تجارة العبيد ؟

(١٠) ما الدرس الذى ألقاه على ابنه حين طلب منه شراء بيت للأسرة فى بقعة غنية بالمناظر الجميلة ؟

(١١) لماذا حزنت الإمبراطورية البريطانية على وفاة (وليم ولبرفورس) ؟

القِصَّةُ الخامِسَةُ

صاحِبُ السَّحابةِ

كان فى قديمِ الزَّمانِ رَجُلٌ مِنَ المَشْهُورِينَ بِالعِبادَةِ ، المَوْصُوفينَ بالقَناعَةِ والزَّهادَة ، وكانَ إذا دَعا رَبَّه أجابَه ، وإذا سأَلَهُ أعْطاه ، وحقَّقَ لهُ مُناه ، يَعيشُ فى الجِبال ، ويَقومُ اللَّيْل ، وكانَ اللهُ قَدْ سَخَّرَ لهُ سَحابةً تَسيرُ مَعَهُ حَيْثُ يَسيرُ ، وتَسْكُبُ عَلَيْهِ ماءً طاهراً عذبًا فيَتَوَضَّأُ ثمَّ يَشْرَبُ .

استَمَرَّ هكذا حتَّى اعْتَرَاهُ فُتُورٌ فى العِبادةِ فى بَعْضِ الأوْقاتِ ، فأَزالَ اللهُ عَنْهُ سَحابَتَه ، وحَجَبَ عَنْهُ إجابَتَه ، فكَثُرَ لذلكَ حُزْنُه ، وطالَ كَمَدُه(١) وكَدَرُه ، وما زالَ يَشْتاقُ إلى السَّحابَةِ الَّتى مَنَّ اللهُ بِها عَلَيهِ ، ويَتَحَسَّرُ ويَتَأَسَّفُ ، فَنامَ لَيْلَةً مِن اللَّيالِى ، فسَمِعَ مَنْ يَقولُ لهُ فى نَوْمِهِ : إنْ شِئْتَ أنْ يَرُدَّ اللهُ

---

(١) حزنه

إليكَ سَحابَتَكَ فتوَجَّهْ إلى المَلكِ الفُلانِيِّ فى بَلَدِ كذا ، واسْأَلْهُ أنْ يَدْعُوَ اللهَ لكَ ؛ حتَّى يَرُدَّها اللهُ عليْكَ ، ويَسُوقَها إليكَ ، ببَرَكَةِ دَعَواتِهِ الصَّالِحاتِ .

فلَمَّا أقبلَ الصَّباحُ سارَ الرَّجُلُ يَقْطَعُ الأرْضَ ، حتَّى دَخَلَ البَلْدَةَ الَّتى ذُكِرَتْ لهُ فى المنامِ ، فسأَلَ عَنِ الملِكِ ، فدُلَّ عليهِ ، فَسارَ إلى قَصْرِه ، فإذا بالبابِ غُلامٌ جالِسٌ على كُرْسِيٍّ عَظيمٍ ، ويَلْبَسُ مَلابِسَ جَميلَةً ، فوَقَفَ الرَّجُلُ وسَلَّمَ ، فرَدَّ عليْهِ السَّلامَ ، وسأَلَهُ ما حاجَتُكَ ؟

فأجابَ : إنِّى مُحْتاجٌ لِلقاءِ الملِكِ ، وقَدْ جئتُ لِأَرْفَعَ قَضِيَّتى إليْهِ .

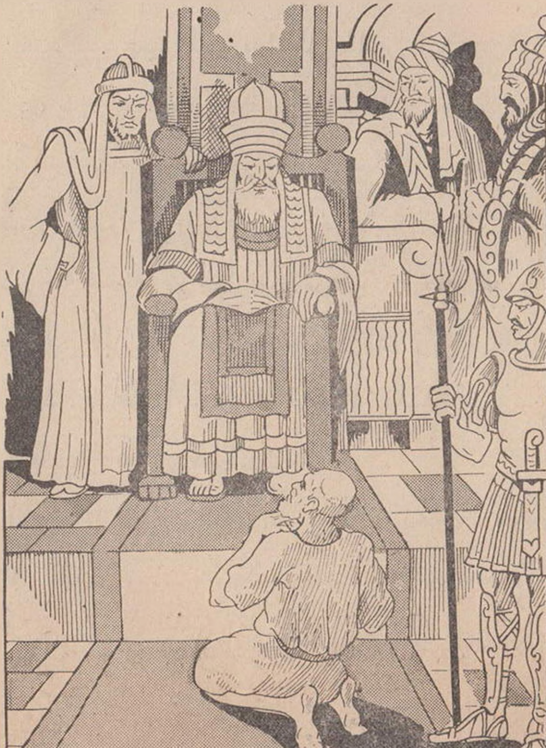
فقالَ الغُلامُ : لا سَبيلَ لكَ اليَوْمَ إليْهِ ؛ لِأَنَّهُ قد جعَلَ لِلشَّاكِينَ فى الأُسْبوعِ يوْمًا يَدْخلُونَ عَليهِ فيهِ ، وهُوَ يَوْمُ كَذا ، فانتظِرْ حتَّى يأْتِيَ ذلكَ اليَوْمُ .

فأنْكَرَ الرَّجُلُ عليه تَحَجُّبَه وبُعْدَهُ عن النَّاسِ ، وقالَ : كَيْفَ يكونُ هذا ولِيًّا مِنْ أوْلياءِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وهوَ على

هذه الحال؟ وذهب يَنتَظِرُ اليَوْمَ الَّذِى حُدِّدَ له .

فَلَمَّا كَانَ ذلكَ اليَوْمُ دَخلَ فوجَدَ لَدَى البابِ أُناساً يَنْتَظِرونَ الإذْنَ لهُمْ بِالدُّخولِ ، فوَقفَ مَعَهُمْ إلى أنْ خَرَجَ أَحَدُ الوُزَراءِ ، وَبَيْنَ يدَيْهِ الْخَدَمُ والْعَبِيدُ ، فقالَ : لِيَدْخُلْ أصحابُ الحاجات ، فَدَخَلوا ، ودخَلَ صاحبُ السَّحابةِ فى جُمْلتِهم ، فإذا الملِكُ قاعِدٌ وَبَيْنَ يَدَيهِ كِبارُ مَمْلَكتِهِ عَلَى اختلافِ مَراتبِهم .

فوَقَفَ الْوَزيرُ ، وجَعَلَ يُقدِّمُ الواحِدَ مِنْهُمْ بعْدَ الآخَرِ ، حتَّى وصلت النَّوْبَةُ إلى صاحبِ السحابةِ ، فلَمَّا قدَّمَهُ الوَزيرُ نظَرَ إليهِ الملِكُ وقالَ : « مَرْحَباً بصاحبِ السَّحابَةِ . اجْلِسْ حتَّى أفْرُغَ لكَ . » فتحيَّرَ مِنْ قَوْلِه ، واعْتَرَفَ بِمَنْزِلَتِه عِنْدَ اللهِ وفضْلِه ، فَلمَّا انتهى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الرَّعِيَّة ، وفرَغَ منَ الشِّكاياتِ قامَ ، وقامَ الوَزيرُ ورِجالُ الدَّوْلةِ ، ثمَّ أخذَ الملِكُ بيدِ صاحبِ السحابَةِ ، وأدْخلَهُ القَصْرَ ، فوَجَدَ على بابِهِ عَبْدًا أسْوَدَ ، وفوْقَ رأسهُ أسْلِحَةٌ ، وعَنْ يَمينِهِ وشِمَالِه دُروعٌ وسُيوفٌ .



صاحب السحابة يقضى بين الناس بالعدل وقد وقف الوزراء حوله

قالَ صاحبُ السحابة :

فَفَتحَ العبْدُ بابَ القصْرِ ، فدخلَ الملكُ ، ويدى فى يَدِه ، فإذا بيْنَ يديهِ بابٌ قصيرٌ ، فَفَتحَهُ الملكُ نَفْسُهُ ، ودخلَ خَربةً وبناءً كَبيراً ، ثُمَّ دَخلَ حُجرَةً ليْسَ فيها إلاَّ سجَّادَةٌ وقَدَحُ الْوُضُوءِ ، وشىءٌ مِنَ الخوص ، ثمَّ خلعَ ثِيابَه الَّتى كانتْ عَليهِ ، ولَبسَ جُبَّةً خشِنَةً من الصُّوفِ الأبْيَض ، وجَعلَ على رَأْسِهِ قلَنْسُوَةً من اللِّبْد ، ثمَّ جَلسَ وأجْلسَنى ، ونادَى زَوْجَتهُ ، فقالتْ لهُ : لبَّيكَ ، فسَألها : أتَدْرِينَ مَنْ ضَيْفُنا فى هذا اليَوْمِ ؟

فأجابتْ : نعمْ هوَ صاحبُ السَّحابةِ .

فقالَ لها : ادخُلى . فإذا هى امرأةٌ كأنَّها الْخيالُ ، وَوَجْهُها يَتلألأُ كالهلالِ ، تَلبَسُ جُبَّةً منَ الصُّوفِ ، وعَليْها القِناعُ[1] .

ثمَّ قالَ الملِكُ : أتُريدُ يا أخى أنْ تعرفَ خَبرَنا أوْ ندْعُوَ لكَ وتَنْصَرِفَ ؟

قال الضَّيفُ : بلى أُريدُ أنْ أسمعَ خبرَكُما فإنِّى فى شَوْقٍ إليْه .

فقالَ لهُ : لَقَدْ كانَ آبائى وأجدادِى يَتداوَلون المملكةَ

---

(١) القناع : أوسع من المقنعة ، والمقنعة : ما تقنّع به المرأة رأسها .

وَيتوارثونَها إلى أنْ ماتوا ، وَوَصلَ الأمْرُ إلىَّ ، فَبغَّضَ اللهُ ذلك لى ، وأردْتُ أنْ أسِيحَ فى الأرضِ ، وأترُكَ أمْرَ النَّاسِ لأنفسِهم ، ولكنِّى خِفْتُ عليهِم الفِتْنةَ ، وتَضْييعَ الشرائِعِ ، وتشتيتَ شمْلِ الدِّين ، فتركتُ الأمْرَ على ما كان عليه ، وجعلتُ لِكُلٍّ فردٍ منهم نَصيبًا مُعيَّنا ، ولَبِسْتُ ثيابَ المُلْكِ ، وأجلَسْتُ العبيدَ على الأبوابِ إرهابًا وتخويفاً لأهلِ الشرِّ ، ودِفاعًا عنْ أهلِ الخيْرِ ، وإقامةً للحدودِ . فإذا فرغْتُ من ذلكَ كُلِّه دخلْتُ مَنزِلى ، وأزلْتُ هذه الثِّيابَ ، ولَبِسْتُ ما تَرَى ، وهذهِ زَوْجتى وابنةُ عَمِّى ، قَدْ وافقتْنى على الزُّهدِ والقناعَة ، وساعدتْنى فى العبادة ، فنَصوم ونَعملُ منْ هذا الخُوصِ نَهاراً ما نُفْطِرُ بثمنهِ لَيْلًا ، وقدْ مَضَى علَيْنا ونحنُ على هذهِ الحَال نَحْوُ أربَعينَ سَنةً ، فأقِمْ مَعنا حتَّى نَبيعَ خوصَنا ، وتُفْطِرَ مَعنا ، وتَبيتَ عِنْدنا ، ثمَّ تَنْصرفَ بحاجَتِكَ إنْ شاءَ اللهُ تعالى .

فلمَّا كانَ آخِرُ النَّهارِ أتَى غُلامٌ ودخلَ ، فأخذَ ما عَمِلاهُ منَ الخوصِ ، وسارَ به إلى السُّوقِ ، فباعهُ واشترَى بثمنه خُبْزًا

وفُولًا ، وأَتى بهما ، فأفطَرْتُ معهُما ، ونِمتُ عِندَهما .

فقاما مِنْ نِصْفِ الليْلِ يُصَلِّيانِ وَيَبْكِيانِ ، فلمَّا كانَ الفَجْرُ قالَ المَلِكُ : « اللَّهُمَّ إنّ هذا عَبدُكَ ، يَطلُبُ مِنكَ أنْ تَرُدَّ سَحابَتَهُ إليه ، وأنتَ على ذلكَ قديرٌ . اللَّهُمَّ أجِبْ دَعوتَهُ ، وارْدُدْ عليه سَحابَتَهُ » . فَأَمَّنتْ زَوْجَتُهُ . وقالت : « آمين ، اللهمَّ اسْتَجِبْ » . فإذا السَّحابَةُ فى السَّماءِ . ففرِحْتُ واغتَبطتُ . وَوَدَّعتُهُما وانْصَرَفتُ ، والسَّحابَةُ تَسيرُ مَعى كما كانتْ .

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) كيف كان الرجل الصالح يعيش ؟

(٢) لماذا أزال الله عنه سحابته ؟

(٣) كيف ردّ الله إليه سحابته ؟

(٤) هل عرف الملك صاحب السحابة ؟ كيف عرفه ؟

(٦) كيف كان الملك يقضى بين رعيته ؟

(٧) وهل عرفت الملكة صاحب السحابة ؟

(٨) كيف كان الملك والملكة يعيشان ؟

(٩) بماذا شعر صاحب السحابة حينما ردّت إليه سحابته ؟

(ب) رتب الكلمات الآتية ، وكوِّن منها جملة مفيدة :

مظلوم ، رَجُل ، أنا

(ح) هات أسئلة للأجوبة الآتية :

(١) جئت إلى الملك لأرفع قصتى إليه .

(٢) قال الملك : اجلس حتى أفرُغ لك .

(٣) فتحَ العبد باب القصر .

(٤) دخل الملك الحجرة .

(٥) لبسَ الملكُ جُبةً من الصوف .

فهرس الكتاب

المكتبة الثقافية للشباب

	ص
(١) الشخصية	١٥
(٢) قصص فى البطولة والوطنية	١٥
(٣) أروع القصص لدكنز	١٥
(٤) قصص من الحياة لدكنز	١٥
(٥) قصص العظماء	١٥
(٦) أبطال الشرق	١٥
(٧) جان جاك روسو المصلح الاجتماعى	١٥

١٩٥٠/٢٩٨٤

المكتبة الحديثة للأطفال

المجموعة الأولى

(١) يوم سعيد
(٢) الطفلان اليتيمان
(٣) الراعى الأمين
(٤) النمر الأسود
(٥) جميلة والوحش
(٦) بنت قاطع الخشب
(٧) الطيور البيضاء
(٨) الأميرة الصامتة
(٩) السمكة الذهبية
(١٠) سيف العدالة
(١١) الدجاجة الخائفة
(١٢) العصفور المغرور
(١٣) الحظ السعيد
(١٤) مثال الرحمة
(١٥) الشاب الوفى

المجموعة الثانية

(١٦) جواهر الأم
(١٧) الأميرة المدبرة
(١٨) القرش الضائع
(١٩) حارسة الورد
(٢٠) الصندوق الزجاجى
(٢١) البطل الشجاع
(٢٢) الأبناء الثلاثة
(٢٣) الأمير المدبر
(٢٤) الفيلسوف الزاهد
(٢٥) الوطنية الصادقة

ثمن كل كتاب ٥ مـ